انواع الشعر

من المعروف أنه يوجد عند الغربيين منذ اليونان أنواع مختلفة من الشعر، يردها نقادهم إلى أربعة أضرب: شعر قصصي وتعليمي وغنائي وتمثيلي .

- الشعر القصصي ويمتاز هذا النوع بأن قصائده طويلة ، فالقصيدة منه تمتد إلى آلاف الأبيات، وتتوالى فيه حلقات من الأحداث تنعقد حول بطل كبير، وقد يوجد بجانبه أبطال، ولكن أدوارهم ثانوية. وهي في حقيقتها قصة؛ إلا أنها كتبت شعرًا، فالتسلسل القصصي فيها دقيق والانتقال بين أجزائها منطقي محكم، وهي قصة تفسح للخيال مجالًا واسعًا، ولذلك كانت تكثر فيها الأساطير والأمور الخارقة، وكانت الآلهة تظهر فيها عند اليونان بدون انقطاع. وخير ما يمثلها عندهم الإلياذة لهوميروس وقد نقلها إلى العربية منذ فاتحة هذا القرن سليمان البستاني، ولكثير من الأمم القديمة والحديثة قصائد قصصية تشبهها؛ فللرومان الإليادة لفرجيل، وللفرس الشهنامة وللألمان أنشودة الظلام وللفرنسيين أنشودة رولان.

والشاعر في هذا الضرب القصصي لا يتحدث عن عواطفه وأهوائه، فهو شاعر موضوعي ينكر نفسه، ويتحدث في قصته عن بطل معتمدًا على خياله، ومستمدًّا في أثناء ذلك من تاريخ قومه، وكل ما له أنه يخلق القصة ويرتب لها الأشخاص والأشياء، ويجمع لها المعلومات، ويكون من ذلك قصيدته، وعادة ينظمها من وزن واحد لا يخرج عنه.

- الشعر التعليمي الذي ينظم فيه الشاعر طائفة من المعارف على نحو ما نعرف عند هزيود الشاعر اليوناني وقصيدته "الأعمال والأيام" التي يصور فيها فصول السنة والحياة الريفية، وعند هوراس الشاعر الروماني في قصيدته "فن الشعر" التي نظمها في قواعد الشعر ونقده، وكما هو معروف عن أبان بن عبد الحميد شاعر البرامكة في قصيدته التي نظم فيها أحكام الصوم والزكاة.

- الشعر التمثيلي الذي يعتمد على مسرح وعلى حركة وعمل معقد وحوار طويل بين الأشخاص، تتخلله مشاهد ومناظر مختلفة.

السمة الغنائية في الشعر العربي

إن القضايا التي يعالجها الشعر الغنائي تكون ذاتية تتجه إلى العالم الداخلي للشاعر فتعبر عما يختلج في نفسه من انفعالات وما يعتمل في ذاته من مشاعر وأحاسيس تعبّر عن تأملات وتجارب مرّ فيها مثلما تتأرجح في تصوير نجاح أو تعبّر عن فشل يبقى الشاعر بين جناحي تحليق وانكسار هو الحامل لذلك الألم أو الفرح.

وأغلب الشعر العربي هو الشعر الغنائي وقد تفرد بخصوصيّةٍ الغناء من دون بقية الأنواع الأخرى من الشعر وقد تشعبت لأغراض مثل الفخر والهجاء والغزل والرثاء والزهد وما إليها وقد فرضت الحياة الاجتماعية تلك الموضوعات وفق ما اقتضته الظروف التاريخية حسب مراحل التطور التي مرّ بها الشعر العربي، وكان للشعراء دورهم الطليعي في تطوير الشعر والوصول به إلى مراتب الجمال الأسمى فبلغوا فيه درجات الفنية القصوى بما أبدعوه سواء من حيث الكم أم من حيث الكيف.

إنّ الشّعر الجاهلي جميعه غنائي ،إذ يماثل الشّعر الغنائي الغربي من حيث إنّه ذاتي يصوّر نفسيّة الفرد ؛وما يختلجه من عواطف وأحاسيس سواء حين يتحمّس الشّاعر ويفخر ،أوحين يمدح ويهجو أوحين يتغزّل ويرثي أوحين يعتذر ويعاتب ،أوحين يصف أي شيء في جزيرته. وليس هذا فحسب ،فهو يماثل الأصول اليونانيّة للشّعر الغنائي الغربي من حيث إنّه كان يغنّى غناء، ويظهر أنّ الشّعراء أنفسهم كانوا يغنّون فيه ،فهم يرون أنّ المهلهل غنّى في قصيدة :

طفلةٌ ما المحلّل بيضا ء لعوبٌ لذيذةٌ في العناق

ومعنى ذلك أنّ الشّعر الغنائي ارتبط بالغناء عند أقدم شعرائه .ومن حين إلى حين نجد أبا الفرج الأصبهاني يشير إلى أنّ شاعراً جاهلياً تغنّى ببعض شعره من مثل السّليك بن السّلكة وعلقمة بن عبدة الفحل والأعشى ،وكان يوقّع شعره على الآلة الموسيقيّة المعروفة باسم الصّنج ،ولعلّه من أجل ذلك سمّي صنّاجة العرب. ويقول حسان بن ثابت في وصفه قينة :

تغنّ بالشّعر إمّا كنت قائله إنّ الغناء لهذا الشّعر مضمار

فالغناء كان أساس تعلّم الشّعر عندهم ،ولعلّهم من أجل ذلك عبّروا عن إلقائه بالإنشاد، ومنه الحُداء الذي كانوا يحدون به في أسفارهم وراء إبلهم، وكان غناء شعبيّاً عامّاً ويقترن هذا الغناء عندهم بذكر أدوات موسيقيّة مختلفة كالمزهر والدف وكانا من جلد وكالصنج وهو آلة فارسيّة معروفة باسم الجنك ،وكالبربط وهو آلة وتريّة شاعت في بلاد الإغريق .ويكثر الشّعراء من ذكر القيان في مجالس الغناء ،اللواتي كنّ يغنين أشعارهم ،ويضربن على الآلات الموسيقيّة الفارسيّة، من مثل هريرة فكانت صاحبة الأعشى التي ذكرها في معلقته:

ودّع هريرة إنّ الرّكب مرتحل وهل تطيق وداعاً أيّها الرّجل

وكانت النّسوة يشاركن في الغناء وخاصة في الأعراس ،وكنّ يؤلفن في الحروب جوقة كبيرةً تحمّس وتثير ، وكانت هنداً بنت عتبة ونسوة من قريشٍ كنّ يضربن على الدّفوف في غزوة أحد وكانت هند تغنّي في تضاعيف هذا العزف بمقطوعاتٍ على شاكلة قولها:

إن تقبلوا نعانق ونفرش النّمارق

أو تدبروا نفارق فراق غير وامق

وعلى هذا النّحو نظم شعراء الجاهليّة شعرهم في جوٍّ غنائي مشبه لنفس الجوّ الذي نظم فيه اليونان شعرهم الغنائي فقد كان الشّاعر يغني شعره ،وكان بعضهم لا يغنّيه، وإنما ينشده إنشاداً، والإنشاد مرتبة وسطى بين الغناء والقراءة ومن يرجع إلى هذا الشّعر يجد بقايا الغناء والموسيقى ظاهرة فيه ،ولعلّ القافية من هذه البقايا التي احتفظ بها ،فهي بقيّة العزف فيه ورمز ما كان يصحبه من قرع الطبول ونقر الدفوف ،ومثلها التصريع في مطالع القصائد وما كان يعمد إليه الشّعراء أحياناً من تقطيعٍ صوتي لأبياتهم، كقول امرىء في معلقته يصف الفرس :

مكرٍّ مفرٍّ مقبلٍ مدبرٍ معاً كجلمود صخرٍ حطّه السّيل من عل

ويكثر هذا التّقطيع في أشعارهم ،ومن يرجع إلى معلقة لبيد التي يستهلّها بقوله:

عفت الدّيار محلّها فمقامها بمنىً تأبّد غولها فرجامها

فهو يلائم كثيراً بين الكلمتين الأخيرتين، وكأنّ للبيت قافيتين :داخليّة ،وخارجيّة ،وكأنّه يريد أن يهيىء لنفسه أولمن يتغنى بقصيدته أن يرتفع بصوته في كلمتين متتاليتين .ولا شكّ أنّ صور الأوزان المتنوّعة التي يمتاز بها الشّعر الجاهلي إنّما حدثت بتأثير هذا الغناء ،وقد نفذوا منه إلى ضروبٍ من التجزئة في بعض الأوزان، كمجزوء الكامل والمديد ،بل نفذوا إلى أوزانٍ خفيفةٍ كثيرةٍ كالمتقارب والرّمل والهزج، وهكذا فإنّ الشّعر الجاهلي شعرٌ غنائيٌّ اذا قورن بالشّعر اليوناني القديم ،لأنّه يجول مثله في مشاعر الشّاعر وعواطفه.